من مذكرات فاقد الذاكرة

شعر : عبد الناصر عيسوي - مصر

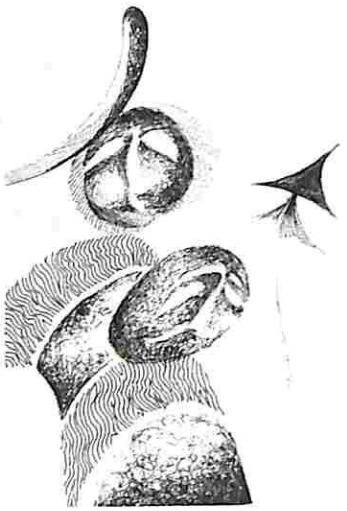

سلبوا مني ذاكرتي
ركبوا خيلي .. أخذوا منّي
أسيافي
لا أعرفهم
بل لا أجرؤ أن أذكر ..
من هم
أو مَنْ أسلافي
أخذوا مني عهدا
أن أتنصل من أهلي أو ناسي
أن أفقد كل حماسي
سلبوا مني إحساسي
ما عاد صهيل الخيل .. ووقع
حوافره ..
يوقظ فيَّ الروحْ
أخذوا عهدا .. أن أبقى كالمجروحْ
وأنا قلبي مذبوحْ
أتمنى أن ترجع لي ذاكرتي ..
فأبوحْ
لا أذكر شيئا عن نشأتي الأولى
إلا بضع حكايات ترويها بعض
النسوةْ ..
من جيران الحيْ
منها أن أبي أرسلني - حين وُلدتُ -
لأرضع عند قبائل ..
يُستْنبت فيها الفرسان
أجلسني - حين فُطمتُ - على
صهوات الخيلِ ..
وعلمني ألا آكل من لحم الأعداءْ
أعطاني سيفا يلمعْ ..
أذكر أني قلت كلاما حينئذٍ ..
وأبي يقسم - من فرحته - :
" قال ابني الشعر وربِّ الكعبةْ "
فنشأت أحب بريق السيفْ
ضحكت لي صاحبتي - حين كبرتُ -
فشبهت بريق الضحكةِ ..
ببريق السيفْ
كنت أرى أهداب المحبوبةِ ..
تطعنني
وأرى عينيها تبتدران القلبَ ..
وسهمهما ينفذ في أعماقي
كانت لحظة حبي تشبه ..
طعنةَ سيفْ
فحياتي ليست إلا السيفْ

***

كثرت غزواتي ، حتى قيل بأني
سياف يفتح بلداناً
لكني - للحقِّ -
علَّمني السيفْ
ألا أعرف معنى الخوفْ
ألا أعرف معنى الزيفْ
كنت كحد السيفْ
ولذلك يرهبني الناسُ ..
فصرت يمين الله بجيش أسامةْ
وكتبت العهد العمري بخطِّي
صليت وراء ابن الخطابِ ..
لكنا نجعل من أخلاق الفرسانِ ..
علامةْ
أبطلتُ كلام العرافينَ ..
بعموريةْ
حينئذ .. كان السيف صديقاً
وصدوقاً ..
كانت كتب العرافين - كما الآنَ -
تفوح ندامهْ
ولحقت بجيش صلاح الدينِ ..
فأرجعنا القدسَ ..
فما بالُ القدس الآنْ
لا تعرف للفرسان قيامةْ !

***

لو كنت على العهد العمريِّ ..
لكنت أشد على كل طواغيت
العصرْ
لكني صدَّقت كلام العرافينَ ..
فصرت أرى في الأفقِ ..
قتامهْ
فمددت يدي
أخذوا مني عهداً
أن أفقد كل حماسي
حتى لو أخذوا صاحبتي
لا أملك إلا أن
أفقد إحساسي لا أعرف من همْ
إلا لو رجعتْ لي ذاكرتي
ساعتها .. أذكر من هم
ساعتها .. أذكر مَنْ أسلافي
ساعتها .. أفرجُ عن خيلي ..
عن أرضي
ساعتها .. أفرج عن صاحبتي
أفرج عن حبي
عن أسيافي .